﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾ [النّور: 38]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مـن عـرفَ ما يطلب مـنَ الله تعالى هان عليه مـا يـبـذل في سبيله

لَمّا بَيَّنَ اللّهُ تعالى في الآيةِ السّابقةِ أفعالَ هؤلاء الرِّجالِ التي أقبَلوا بها عليه وأعرَضوا عمّا سواه؛ بيَّنَ في هذه الآية غايتَهم فيها فقال ﷻ: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَضۡلِهِۦۗ﴾: (فضل): أَصْلٌ صَحيحٌ يدُلُّ على زيادةٍ في شَيءٍ؛ مِنْ ذلِكَ الفَضْلُ: الزِّيادةُ في الشَّيءِ[2]، سواء أكان مَحمودًا كفضل العلم والحِلم، أم مَذمومًا كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، واستِعمالُهُ في المَحمودِ أكثرُ، يُقالُ: فضَلَ الشَّيْءُ فضْلًا؛ أيْ: زادَ، وضِدُّه: النَّقْصُ[3]، والفَضْلُ: إذا استُعمل لزيادة أحدِ الشّيئَيْن على الآخر؛ فعلى ثلاثة أضرُب: فضلٌ من حيثُ الجنس؛ كفضل جنس الحيوان على النّبات، وفضلٌ من حيثُ النّوع؛ كفضل الإنسان على غيره مِنَ الحيوان، وفضلٌ من حيثُ الذّاتِ، كفضل رجلٍ على آخر[4]، والفضل: الشَّرَفُ والخيرُ والرِّزْقُ، ورَجُلٌ فاضِلٌ: ذو شَرَفٍ وخيرٍ، والإفْضالُ: الإحسانُ، والفَضائِلُ: خِصالُ الخَيْرِ، ويأتي الفَضْلُ بمعنى بَقيَّةِ الشَّيْءِ، والجَمْعُ: أَفْضالٌ[5]، والمُراد بالفَضلِ في الآية: الزِّيادةُ في العطاء.

(1) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 13/ 281.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(3) ابن دُرَيد، جمهرة اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (فضل).
(4) الرّاغب، المُفردات: (فضل).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (فضل).

2) ﴿حِسَابٍ﴾: أصلُ الحِسابِ: العَدُّ والإحْصاءُ[1]، ويأتي بِمعنى التَّحْديدِ، كما في قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ [آل عِمرانَ: 37]، ويأتي بمعنى التَّعيين والإعداد للاهتمام بالشَّيء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ٣٦﴾ [النّبأ: 36]، والحِسابُ في الآية مُرادٌ به الحَصْرُ والتَّحديدُ؛ لأَنَّ الحِسابَ يقتضي حصرَ الشَّيءِ المَحْسوبِ، بحيثُ لا يَزيدُ ولا ينقصُ؛ فالمعنى: إنَّ اللّه يرزُقُ مَنْ يريدُ رزقَه بما لا يُعرَفُ مقدارُهُ؛ لأَنَّهُ موكولٌ إلى فضل اللّه تعالى[2].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عـطـاءُ الـلـهِ لا نهايةَ له

بيّنت هذه الآيةُ الكريمة أنّ اللّه سيُكافِئُ عمّارَ المساجدِ – الذين يُسبّحون اللّهَ ويَذْكُرونه ويُقيمون الصّلاةَ ويُؤدّون الزّكاةَ ويخافون يومَ الحساب – على أعمالِهم في الدُّنيا بأحسَنِ ما عَمِلوا، ويَزيدُهم مِن فضلِه جزاءً عليها، واللّهُ يتفضَّلُ على مَن يشاءُ، فيَرزُقُه أرزاقًا كثيرةً لا حدَّ لها ولا عَدَّ[3]؛ لأنّه واسع الفضل، ولا تنفد خزائنُه.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالة التّعبير باللّام في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ﴾:

حُسنُ العاقبةِ للذّاكرين

بَيَّنَ النَّظمُ الكريم مآلَ أمرِ أولئك الذّاكرين وحُسْنَ عاقبتِهم، فقال تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ فاللّام هُنا للعاقبة والصَّيرورة التي تتعلّق بمحذوفٍ تقديرُه: يفعلون ما يفعلون منَ التَّسبيح والذِّكْر، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة؛ ليجزيَهُم اللّه سبحانَه أحسنَ ما عملوا[4]؛ لأنّهم لم يفعلوا ذلك من باب الاغترار بالعبادة؛ بل هم بينَ الخوف والرّجاء؛ لذلك جَعْلُ اللّام للعاقبة أَوْلَى[5].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حسب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 250.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 69، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 18/ 110، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 569.
(4) الهَرَريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 19/ 340.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 293.

ويحتمل أن تكون اللَّام للتَّعليل، والمعنى: يفعلون ما ذكر من التسبيح والصلاة والزكاة وغيرها من الأعمال الصَّالحات؛ ليجزيهم الله في دار كرامته[1].

### سِرُّ التّعبيرِ بالجزاءِ دون غيرِهِ:

دلالةُ الجزاء على ما فيه الكفايةُ منَ المقابلةِ

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالجزاء في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنّه يدلُّ على ما فيه الكفايةُ منَ المقابلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، والسّيّئة الثّانية ليست بسيّئة؛ بل هي حسنةٌ، ولكنّ القرآن لمّا قابلها بالسّيّئة أجرى عليها اسمها، والعرب تقول: الجزاء بالجزاء، وأيضًا: لمّا كانت الحسنة تُضاعَف إلى أضعافٍ كثيرةٍ يضاعفُها اللّهُ للمؤمنين؛ عبّر بالجزاء في هذا المقام، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ: 37]، وعلى هذا؛ فالمناسبُ لهذا السّياق هو التّعبير بالجزاء؛ مناسبةً للأعمال التي ذكرها اللّهُ لأهل الذِّكر والتّسبيح؛ فكافأهم عليها بما فيه الكفاية في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾، وضاعف لهم هذا الجزاء بقوله: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾.

### دلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ﴾:

استحضارُ صورة الجزاء المُعدّ لهم

جاء التّعبير بالمضارع ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ﴾ من باب مراعاة التّناسب للأفعال التي سبق ذِكرها في التّسبيح والذِّكر، والخوفِ من أهوال يوم القيامة، فكلُّها جاءت بالمضارع، وأيضًا: لاستحضار صورة الجزاء المُعدِّ لهم، مناسبة لاستحضار صورة العبادة المُتجدِّدة من هؤلاء الرِّجال.

### فعل (يجزي) بينَ التّعدّي بحرف الجَرّ وعدمه:

الفعل (يجزي) ورد في القرآن الكريم متعدّيًا بحرف الجَرّ الباء، نحو: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الإنسان: 12]، وتكون الباء هنا للسّببيّة،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 13/281.

وتعدّى بـ ﴿عَن﴾ [البقرة: 48، 123] في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: 48، 123]، وجاء هذا الفعل مُتعدّيًا بـ ﴿مِن﴾ [الرّوم: 45] في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [الرّوم: 45]، والمُلاحَظ أنّ الفعل (يجزي) وقع في هذه الآية: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ﴾ مُتعديًا في الظّاهر بنفسه مِن غير أن يتعدّى بحرف، وإن كان بعضُ المُفسّرين يرى أنّه على حذف الجارّ؛ والمعنى: (ليجزيَهم اللّه على أحسنِ ما عملوا، أو بأحسنِ ما عملوا)، ومنهم مَنْ يرى في الكلام حذفَ مضافٍ بتقدير: (أحسنَ جزاءِ ما عملوا)؛ والمعنى على الأوّل: أنّه يجزيهم على أحسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم، فإنّ الحسناتِ يُذهبن السّيّئاتِ، ولو شاء لحاسَبَهم حسابًا عسيرًا، فأحصى عليهم سيّئاتهم، ولكنّه فضلًا منه ورحمةً إنّما يجزيهم على أحسن الأعمال، ويعفو عنِ السّيّئات، والمعنى على الثّاني: (ليجزيهم اللّه أحسنَ جزاءِ أعمالهم)؛ وذلك بالمضاعفة، حيثُ يَجزي على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضِعف، واللّهُ يُضاعف لِمَن يشاء[1].

### نُكْتَةُ إسنادِ الجزاءِ إلى الجلالةِ:

دليلٌ على عِظَمِ الجزاءِ وجزيلِ العطاءِ

أُسند الجزاءُ إلى لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دونَ لفظِ الرّبوبيّةِ؛ للدّلالة على عِظَمِ الجزاء وجزيلِ العطاء المُعدِّ لهم في دار كرامته بعدَ البعث بعظمته وجلاله، وكرمه وجماله[2].

### سِرُّ التّعبيرِ بصيغةِ التّفضيلِ ﴿أَحۡسَنَ﴾:

الدّلالةُ على مُضاعفة الجزاءِ على يسيرِ العملِ وكثيرِهِ

لفظ ﴿أَحۡسَنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أفعل تفضيل؛ والمعنى: أنّهم يُجزَون أحسنَ ثوابٍ لِعمَلِهم؛ لأنَّ الحَسَنَةَ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة،

(1) إبراهيم الجبالي، شفاء الصّدور بتفسير سورة النّور، ص: 221، ومحمد داود، القرآن الكريم وتفاعل المعاني: 2/ 295.

(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 281.

والإنسانُ لو عملتَ له عملًا وأعطاكَ أجركَ مرَّتيْن يكون هذا أحسن ثوابٍ، لكنّ ثوابَ اللّه ﷻ أحسنُ وأحسنُ؛ لأنَّ اللّه يُضاعف لِمَنْ يشاء، فالأَوْلى؛ بل الواجبُ أن تبقى ﴿أَحْسَنَ﴾ على ما هي عليه منَ التّفضيل؛ والمعنى: أحسنَ ثوابٍ لعملهم، ويكون الأحسن ليس للعمل؛ بل للثّواب[1]؛ فصيغَةُ التّفضيلِ تَدُلُّ على المُشاركةِ، والواجبُ أحسَنُ مِنَ المندوبِ، والمندوبُ أحسَنُ مِنَ المُباحِ؛ فيُجازَوْنَ بالأحسَنِ الَّذي هو الواجبُ والمندوبُ - على قولٍ في التّفسيرِ - دونَ مُشارِكِهما في الحُسْنِ، وهو المباحُ[2].

### سِرُّ التّعبير بقوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ دون غيرِهِ:

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بقوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ دون غيره في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾؛ تنبيهًا على أنّه لا يُجازيهم على مساوئ أعمالهم؛ بل يغفرها لهم، وللدّلالة على أنّه سبحانه يجزيهم جزاءَ أحسنِ ما عملوا، على الواحد عشرًا إلى سبعمئة، ويكون المُرادُ بالأحسن: الحسنات أجمع، وهي الطّاعات؛ فرضُها ونَفْلُها[3].

التّنبيه على أنّه لا يُجازيهم على مساوئِ أعمالِهم؛ بل يغفرُها لهم

### دلالةُ التّعبيرِ بالموصولِ ﴿مَا﴾ في قولِهِ: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾:

جاء التّعبير القرآنيُّ بصيغة ﴿مَا﴾ دون (الذي) لإفادة العموم، وبذلك يكون الجزاء لكلِّ الأعمال التي صدرت، سواء أكانت فرْضًا أو نَفْلًا؛ بخلاف (الذي) فإنّها تحمل معنى التّخصيص، وهذا غير مُرادٍ في هذا السّياق.

إفـادةُ عمومِ الأعمالِ، فرضًا كانتْ أو نَفْلًا

### نُكْتَةُ الاقتصارِ على الجزاء عنِ الحسنات:

اقتصر التّعبير القرآنيُّ على ذِكْر الجزاء على الحسنات دونَ السّيّئات في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾؛ مع أنّه

الـتّرغيـب في حُسْنِ العملِ

(1) ابن عُثيمين، تفسير سورة النور، ص: 270.
(2) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 5/ 549.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 254.

يُجازى عليها؛ وذلك لأمرَيْنِ؛ **أحَدُهما**: أنَّه تَرغيبٌ في فعل الحسنات والبُعد عن عمل السّيّئات، و**الثّاني**: أنَّه يكونُ في صِفةِ قَومٍ لا تكونُ منهم الكبائِرُ؛ فكانت صَغائِرُهم مَغفورةً[1].

**نُكْتَةُ عطفِ ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾:**

بيان سَعَةِ كَرَمِ الله على عباده الصّالحين

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ جُملة فعليَّة معطوفة بالواو على ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾، والتّقدير: ويزيدَهم ثوابًا من فضله[2]، وفي هذا العطف بيانٌ لسَعَةِ كرم الله على عباده الصّالحين، حيثُ تفضّل عليهم بمضاعفة أجور أعمالهم، وزيادةِ فضلٍ من غير عملٍ منهم، وهذا ظاهرٌ من عطف قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ لأنه يحتمل وجهيْن؛ **أحدهما**: ما يُضاعِفُه منَ الحسنة بعشر أمثالها، فيتقبَّلُ منهم الحَسَنَ ويُضاعفُه لهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النّساء: 40]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ﴾ [الأنعام: 160]، وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: 245]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [البقرة: 261]، وكما قال هاهنا: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، **الثّاني**: ما يتفضّل به من غير جزاءٍ، فيتفضّل عليهم بأشياءَ وعدَهم بها لم تخطر على بالٍ[4].

**سِرُّ التّعبيرِ بالزّيادةِ في قوله: ﴿وَيَزِيدَهُم﴾:**

الدّلالةُ على أنّ اللهَ تعالى يُثيبُهم على أشياءَ لم يَخطرْ ببالِهم أنْ يُثيبَهم عليها

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالزّيادة دون غيره؛ لأنّ معناها أن ينضمّ إلى ما عليه الشّيء في نفسه شيءٌ آخر، يُقال: زدتُه فازداد، وعلى هذا يكون التّعبير بها هو المناسب لهذا السّياق؛ فبعد ذِكْر

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 108.
(2) بهجت صالح، إعراب القرآن الكريم، ص: 59.
(3) ابن أبي زَمَنين، تفسير ابن أبي زَمَنين: 2/ 61، والمغراويّ، التَّدبّر والبيان: 23/ 383.
(4) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 81.

الجزاء في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ﴾ ثوابًا مُضاعفًا ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على الثّواب تفضّلًا؛ لأنّ عطاء الله ﷻ إمّا تفضّلٌ وإمّا ثوابٌ وإمّا عِوَضٌ؛ فالتّفضّل: هو إيصالُ منفعةٍ خالصةٍ إلى الغير من غير استحقاقٍ، والثّواب: هو الجزاء على أعمال الخير، والعِوَضُ: هو البَدَل منَ الفائت؛ كالسّلامة بدلَ الألم، والنِّعَم بدلَ البلايا والمِحَن[1]، ويمكن أن يُقال إنّ التّعبير بالزّيادة يُدلّل على أنّ الله تعالى يُثيبُهم على أشياء لم يخطر ببالِهم أن يُثيبَهم عليها، ويكون ذلك من بابِ المضاعفة؛ لأن أصل معنى الجزاء المقابلةُ والمكافأةُ على ما يُحمَد؛ فلا جَرَم أنّ الجزاء بعشرة الأمثال زيادة على ما وعده الله تعالى[2].

**معنى ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾:**

﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ ابتدائيّةٌ وتبعيضيَّةٌ؛ والمعنى: هذا الثّوابُ مصدرُه ابتداءً فضلُ الله سبحانه، وهو بعضُ عطاءِ الله، وليس كلّ عطاءِ الله.

**دلالةُ التّعبير بقوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾:**

بيانُ أنَّ فضلَ اللهِ فوقَ الجزاءِ عن أعمالِهم

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بقوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾؛ لبيان عظيم رحمة الله على عباده، فلم يقصر أمرَ الثّواب على أحسن الثّواب؛ بل زادَ عليه الفضلَ في قوله: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾؛ أيْ: يتفضّل عليهم فوقَ ذلك الجزاء بنوعٍ منَ النّعيم لا يخطر على بالٍ؛ فيُعطيهم ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بَشَرٍ[3].

وممّا يُذْكَر في سِرّ التّعبير بالفضل في قوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ أنّه جعلَ أمرَ الثّواب مكافأةً ومُجازاةً لهم مع أنّه صاحبُ الفضل والتّوفيق في الأولى والآخِرة، وزاد في الجزاء تلك المضاعفة العظمى، ثمّ وعدَ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 394.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 395.
(3) الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/ 694.

بالمزيد منَ الفضل، وهو الإعطاءُ بلا مقابل، كأنّ ما عملوا أصغرَ من أن يقع موقعًا ما، ممّا ينالهم من رحمة ربّهم؛ فإذا صَحّ أنّ بعض ما نالهم يُسمّى جزاءً مُستحَقًّا، فإنّ بقيّتَه أعظمُ من أن يُنسَبَ إليها ما قاموا به من عملٍ، مهما شَقّ وعَظُمَ، وهذا هو عينُ الفضل[1].

**دلالةُ الإضافةِ في قوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾:**

تعظيمُ هذا الفضل الجزيل منَ الرَّبِّ الجليل

في إضافة الفضل إلى الضَّمير الدّالِّ على الله تعالى في قوله: ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ تعظيمٌ لهذا الفضل الجزيل منَ الرَّبِّ الجليل مُقابلَ تعظيمِهم لربِّهم وخوفِهم منه، فكأنَّه تعالى لمّا وصفَهم بالجِدِّ والاجتهاد في الطّاعة وهم مع ذلك في نهاية الخوف؛ أخبر بأنّه يُعطيهم الثَّوابَ العظيم على طاعاتهم، ويزيدُهم الفضلَ الذي لا حدَّ له في مقابلة خوفهم[2].

**نُكتَةُ التّخصيصِ بتقديمِ المُسنَدِ إليه على المُسنَدِ الفعليّ:**

اختصاصُ الله تعالى بأمرِ الرّزقِ

قُدِّم المُسنَدُ إليه لفظُ الجلالة (الله) على المُسنَد الفعليِّ ﴿يَرۡزُقُ﴾؛ للدّلالة على اختصاصه ﷻ بأمر الرّزق، ولا يتعدّى إلى غيره، ولذلك وصفَ نفسَه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذّاريات: 58]، وقد قَرّر اللّهُ هذه الحقيقةَ بأسلوبِ الاستفهام في أكثر من آيةٍ للتّأكيد على اختصاصه بها، قال تعالى: ﴿۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ: 24]، وذَمّ عُبّادَ الأصنام بقوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا﴾ [النّحل: 73]، وفي كلّ ذلك دليلٌ على اختصاصه وانفراده تعالى بقضيةِ الرّزقِ، وفيه إشارةٌ إلى إلقاء الهيبة في نفوس عباده، بما له من صفات العَظَمة والجلال؛ فهو المَلِكُ الأعلى الذي يملك كلّ شيءٍ، فيرزقُ مَن شاء، وكيف شاء، لا مُعقّب لحُكمه ﷻ.

(1) الجبالي، شفاء الصّدور بتفسير سورة النّور، ص: 222.
(2) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 14/ 398.

### دلالةُ التَّعبير بـ ﴿يَرۡزُقُ﴾ مادّةً وصيغةً:

الامتنانُ والتَّكرُّمُ مـنَ الـلـه على عباده

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بالفعل ﴿يَرۡزُقُ﴾؛ لأنّه لفظٌ عامّ يشمل الرّزقَ المادّيَّ والمعنويّ؛ فالرّزقُ المادّيُّ ظاهرٌ في أمر الأبدان كالأقوات، والمعنويُّ ما يتعلّق بالمعارف والعلوم، ويشملُ الرّزقَ في الدّنيا والآخرة، والمُراد به في الآية: الثّوابُ الذي يزيد عنِ العمل، وهو فيضٌ من رحمته، وفضلٌ منه سبحانه[1]، والتَّعبير به امتنانًا عليهم وتفضّلًا، واَللّٰه هو المُكرمُ المُفضّل لخواصّ عباده[2]، وجاء بصيغة المضارع التي تدلُّ على التّجدّد والحدوث؛ لاستحضار صورةِ رزقِ اللّٰه وتَجَدُّد صوره؛ فكلّما اشتهت أنفسُهم أمرًا رزقَهم اللّٰهُ إيّاه.

### معنى الاسمِ الموصول ﴿مَن﴾، وموقع الجملة بعدَها:

إفـادةُ الـعـمـومِ والإشـــارة إلى أولَـويَّـتـهـم بالزّيادة

جيءَ بالموصول في قولِه تعالى: ﴿مَن يَشَآءُ﴾؛ لما يُفيده مِنَ العُموم؛ أيّ: وهُم ممَّن يَشاءُ اللّٰهُ لهم الزّيادة[3]، فإذا كان رزقُ اللّٰهِ واسعًا لا حَدّ له، فهؤلاء الصّالحونَ أحَقُّ وأولى من غيرهم به.

### سِرّ وُضِعِ الموصولِ مَوضِعَ ضَميرِهم:

التَّنبيهُ بما في حـيِّـزِ الـصِّـلـةِ عـلى أنَّ مـنـاطَ الرِّزقِ المَذكورِ في مَحضِ مَشيئتِه تعالى

الاسمُ الموصولُ ﴿مَن﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، عبارةٌ عمَّن ذُكِرَتْ صِفاتُهم الجميلةُ؛ كأنَّه قيل: واللّٰهُ يرزُقُهم بغيرِ حِسابٍ، ولكنْ وُضِعَ الموصولُ مَوضِعَ ضَميرِهم؛ للتَّنبيهِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ، على أنَّ مناطَ الرِّزقِ المذكورِ هو مَحضُ مَشيئتِه تعالى لا أعمالُهم المَحكيَّةُ، كما أنَّها المناطُ لِما سبَقَ مِنَ الهدايةِ لنورِه تعالى لا لظاهرِ الأسبابِ، وللإيذانِ بأنَّهم ممَّن شاءَ اللّٰهُ تعالى أنْ يَرزُقَهم، كما أنَّهم ممَّن شاء اللّٰهُ تعالى أنْ يَهديَهم لنورِه، حسْبَما يُعرِبُ عنه ما فُصِّلَ مِن أعمالِهم الحَسنةِ؛ فإنَّ جميعَ ما ذُكِرَ مِن الذِّكْرِ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5198.
(2) الشَّيخ علوان، الفواتح الإلهيَّة: 2/ 12.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 250.

والتَّسبيح، وإقام الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ، وخوفِ اليوم الآخِرِ وأهوالِه، ورجاءِ الثَّوابِ مُقتبَسٌ مِنَ القُرآنِ الكريمِ الذي هو المَعْنيُّ بالنّورِ، وبه يتِمُّ بَيانُ أحوالِ مَنِ اهْتَدى بهُداهُ على أوضَحِ وجْهٍ وأجلاهُ[1]، وفي هذا إشارةٌ إلى كمالِ قُدرته وكمالِ جودِه، وسعةِ إحسانِه.

**دلالةُ حذفِ مفعول ﴿يَشَآءُ﴾:**

لم يَذْكرِ التّعبيرُ القرآنيّ مفعولَ ﴿يَشَآءُ﴾؛ لدلالة السّياق عليه، وتقديره: (مَن يشاء أن يرزقه)؛ فأفاد العمومَ.

**دلالةُ التّعبيرِ بالباء في قوله: ﴿بِغَيْرِ﴾:**

الباءُ في قوله: ﴿بِغَيْرِ﴾ للمُصاحبة، وهي التي يُعَبّر عنها بباء الحال، وقد تقدّمها ثلاثةُ أشياء في قوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ الفعلُ، والفاعلُ، والمفعولُ، وهو صالحٌ لأن يتعلّق من جهة المعنى بكلِّ واحدٍ منها؛ فإذا تعلّق بالفعل كان من صفات الأفعال، وتقديرُه: (يرزق رزقًا غيرَ حسابٍ)؛ أيْ: غيرَ ذي حساب، وإن تعلّق بالفاعل كان من صفات الفاعِلين، والتّقدير: يرزق غيرَ مُحاسبٍ بل مُتفضِّلًا، وإذا تعلّق بالمفعول كان من صفات المفعولين، والتّقدير: يرزق مَن يشاء غيرَ محاسِبٍ أو غيرَ محسوبٍ عليه؛ أيْ: إنّ الرِّزقَ لا يحاسبُه أحدٌ، أو لا يحسِبُ عليه أحدٌ؛ أيْ: لا يَعُدّ، أو غيرُ ذي حسابٍ؛ أيْ: محاسبة[2].

**الباءُ للمصاحبة والحال، والجارّ والمَجرور يصلح أن يتعلّق بالفعل والفاعل والمفعول**

**نُكْتَةُ التَّعبير بالنَّفي بـ(غَيْرِ):**

دلّ التّعبير بـ (غير) في قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ على عدم عِلْم البَشَر بمقدار الرّزق؛ لأنّ الحساب يُفْهَم منه حَصْرُ المقدار، لذلك جاء التّعبير بـ (غير) فنفى الحسابَ؛ ليدلَّ على أنّ نفيَ الحساب نفيٌ للعِلْم بمقدار الرّزق، وقد شاعت هذه الكناية في كلام العرب عن كثرة الأرزاق؛ لكونه عطاءً منَ الله تعالى، وعطاءُ اللهِ لا حَدّ

**الدّلالةُ على السّعة والبشارة بنفي الحِساب في الآخرة**

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 180، والقنوجيّ، فتح البيان: 4/ 598.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 1/ 517، 518.

له[1]، وممّا يُذْكَر في سِرّ التّعبير بالنّفي: أنّه لمّا كان المعنى رزقًا يفوق الحَدَّ، ويفوت العَدَّ؛ فقد عبَّر عنه بقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ فهو كنايةٌ عنِ السَّعة، ويجوز أن يكون مع السَّعة التَّوفيقُ، فيكون بشارةً بنفي الحساب في الآخرة أيضًا أصلًا ورأسًا؛ لأنَّ ذلك المرزوقَ لم يعمل ما فيه دَرَكٌ عليه فلا يُحاسَب، أو يُحاسَب ولا يُعاقب؛ فيكون المُراد بنفي الحساب نفيَ عُسْره وعقابِه، ويجوز أن يُزاد الرّزق كَفافًا، وقد ورد أنَّه لا حسابَ فيه[2].

### غرضُ تنكيرِ لفظ ﴿حِسَابٍ﴾:

الـدّلالـةُ على الـعـمـومِ والشُّمولِ

تنكيرُ لفظِ ﴿حِسَابٍ﴾ من قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يدلُّ على العموم والشّمول، ففيه إشارةٌ إلى أنَّه عطاءٌ غيرُ مجذوذ[3]، فهو سبحانه يُعطي مَن يشاء من خلقه عطاءً واسعًا، بدون حدٍّ ولا عدٍّ، ولا كيلٍ ولا وزنٍ، وذلك لعِظَم العطاء وكثرته[4]؛ لأنَّ الحِساب من شأن المخلوقين الذين يخشون النَّفاد، لا من صفات الخالق، صاحبِ الجودِ الكامل، والإحسانِ الواسع، والفضلِ العميم الذي لا يدخل تحتَ حسابِ الحاسبين، ولا نهايةَ له[5].

### سِرّ التّعبير بمادّة (حسب) في قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

الـدّلالـةُ على طلاقة الـقُـدرة الإلَهيّة

أوثِرَ التّعبير بلفظ ﴿حِسَابٍ﴾ دون غيره لما يحمله من معانٍ ودلالات؛ فيُطلَق على العَدّ والإحصاء، وعلى الكفاية، تقول: أحسبني الشّيءُ؛ أيْ: كفاني، ومنه قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 64]؛ أي: يكفيك، ويُطلَق على المحاسبة، ويُطلَق على حُسْن التّدبير، ومن خلال هذه المعاني تستطيع إدراكَ سِرّ التّعبير بلفظ ﴿حِسَابٍ﴾؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 298.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 282.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5198.
(4) الجزائريّ، أيسرُ التّفاسير: 3/ 573.
(5) ملا حويش، بيان المعاني: 3/ 141.

لأنّه يقتضي معرفةَ ما لكَ وما عليك، ويقتضي مُحاسِبًا ومحاسَبًا عليه، واللّهُ تعالى ليس كمثله شيءٌ، فهو فعّال لما يُريد، يَرزق بغير عَدّ وإحصاء، ويرزق المؤمن ويرزق الكافر دونَ مساءلة أو محاسبة؛ لأنّه لا يُسأل عمّا يفعل؛ لذلك كان التّعبير بلفظ ﴿حِسَابٍ﴾ فيه دلالةٌ على طلاقة القُدرة الإلَهيّة، وممّا يُذْكَر في دلالة التّعبير بقوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ما يحمله من معانٍ عديدةٍ، يقول الرّاغب: "وقوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه أوجه؛ الأوّل: يُعطيه أكثرَ ممّا يَستحِقُّه، الثّاني: يُعطيه ولا يأخذ منه، الثّالث: يُعطيه عطاءً لا يمكن للبشر إحصاؤه، الرّابع: يُعطيه بلا مُضايقة، الخامس: يُعطيه أكثرَ ممّا يحسبه، السّادس: أن يعطيَه بحسب ما يعرفه من مصلحته، لا على حسب حسابهم، السّابع: يُعطي المؤمنَ ولا يحاسبه عليه، الثّامن: يقابل اللّهُ المؤمنين في القيامة، لا بقدر استحقاقهم؛ بل بأكثرَ منه، وعلى هذه الأوجه قولُه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: 40]"[1].

**بلاغةُ التَّذييل بـ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:**

تقرير الزّيادةِ، ووعْدٌ كريمٌ بأنَّه تعالى يُعْطيهم غيرَ أجزيةِ أعمالِهم بلا حَدٍّ ولاعدٍّ

قولُه: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تذييلٌ لما قبلَه، مُقرِّرٌ للزّيادةِ، ووعْدٌ كريمٌ بأنَّه تعالى يُعْطيهم غيرَ أجْزيةِ أعمالِهم مِنَ الخيراتِ ما لا يَفي به الحِسابُ، من غير حَدٍّ ولاعدٍّ[2].

(1) الرّاغب، المُفردات: (حسب).

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 109، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 180.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»